عبادة الرهبان والقديسين[1]

لم يقف النصارى في وثنيتهم عند هذا الحد من عبادة المسيح، وأمّه، وروح القدس، بل تعدوا ذلك إلى عبادة الرهبان والقديسين، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (التوبة: ٣١).

وكما غلا النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام، فقد غلوا في قديسيهم، وصالحيهم، فاتخذوا قبورهم كنائس، وملأوها بصور هؤلاء القديسين، وهم يجثون على الركب أمام هذه الصور، ويتضرعون إليها ويستشفعون بها، ويعتقدون أن روح المسيح حلت فيها، ولقد بلغ افتتانهم بها حداً كبيراً.

---

(١) راجع كتاب «دعوة التوحيد» للأستاذ محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى (ص٢٢٧ - ٢٣٠).

وفي الكتاب الذي ألفه الكاتب الفرنسي ج.أ.س. كولان دي بلانس وسماه (قاموس الأضرحة والمقابر) وترجمه وعلق عليه الدكتور أمين رضا فصول مثيرة عن كثرة الآثار المقدسة لدى المسيحيين، وعكوف عامتهم على الخضوع لها حتى أنهم نسوا دعاء الله إلى جانب دعاء هذه الأضرحة والتماثيل.

يقول في موضع من هذا الكتاب: «لقد كان عامة الكاثوليك لا يفكرون في دعاء الله، بل كانوا يتوجهون بالضراعة إلى ضريح القديسة جنيفيف، أو إلى مقدسات السيدة العذراء المتعددة، أو بقايا يسوع . . وقد استولى القسس والرهبان على جميع العيون المعدنية التي اشتهرت بميزة خاصة، وعلقوا فيها صورًا صغيرة، وبعد طي الزمن أصبح معروفًا أن هذه المياه المعدنية لم تكن تشفي المرضى لعنصر فعال طبيعي جعله الله فيها،

بل رحمة من القديسين الذين كانت العيون تسمى بأسمائهم، وهكذا كانت المعجزات كثيرة جدًا مع أن إيمان هؤلاء السلف لم يكن أكثر من إيماننا: إخلاصًا، وقوة وكانت جميع أنحاء فرنسا تهتم بتعقب أخبار قديس سافر من مكان إلى مكان آخر، أو بأخبار نقل ضريح من مكان إلى آخر، وكان اهتمام الناس بهذه الأخبار يماثل اهتمامنا اليوم بأعياد النصر، وكانت الطرق بين المدن لا يطرقها إلا حجاج مؤمنون مخلصون، يؤمون قديسًا مشهورًا بقضاء حاجة في أنفسهم.

ومما يحكى أن فيليب الطويل لم يشف من الحمى الرباعية إلا بعد أن لمس المسمار المقدس، وذراع القديس سيميون الذي كان يعبده الناس في مدينة سان دنيس، وقد وضعت هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضًا في دوق (نورماندیا) ابن الملك فيليب دي فالو.

ومع أن شفاءه لم يتم إلا بعد ستة أسابيع، إلا أنه أصر على السفر إلى سان دنيس لتقديم الشكر، وكان المؤمن المخلص في إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين، وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم، ويقال: إن أحد الأتقياء مرض، فقصد طبيبًا، فظهرت له السيدة العذراء، وأنذرته بأنه سيظل طول حياته مريضًا إن هو لم يتوجه للعلاج إلى إحدى النوتردامات، ولم يشرك معها في علاجه أحدًا إلى أن يقول: ولم يكن يمر يوم من غير أنه يسمع الناس فيه بشفاء أحد المرضى بتأثير أحد الآثار المقدسة.

ولم تكن الأقطار الكاثوليكية تشغل نفسها بأي شيء غير شد الرحال إلى الأضرحة، وكان شد الرحال إلى الأرض المقدسة أهم الأعمال التي كان يقوم بها أتقى الأتقياء، وكانت المعبودات منتشرة في كل مكان

حتى أصغر القرى، وأبسط الأديرة، وعلاوة على هذه الكنوز المقدسة المحفوظة في الكنائس كانت هناك فئة من الناس الذين كانوا يحملون الآثار المقدسة معهم من صور، وعظام، ويتجولون بها من قرية إلى قرية، وكانت النساء تتهافت عليهم، فيلمسن بهذه الأشياء المقدسة قطعًا من القماش، أو المسابح لكي يكتسبن بها بركة القديسين نظير قروش قليلة إلى أن يقول: وكانت الآثار المقدسة متصفة بقوة هائلة حتى إن الناس كانوا يصنعون آثارًا مقدسة من كل شيء.

ففي عام ١٧٥٦ عثر سكان قرية بون دي شاتو بإقليم أوفرنسي بفرنسا على صندوق يحتوي على جثة طفل محنطة على الطريقة الشرقية، وكانت الجثة لا تزال محتفظة بنضارتها، وهيئتها الطبيعية، فاعتبروها معجزة، واعتبروها مقدسة، وحجوا إليها، وعبدوها

إلى أن صدر أمر من الحكومة بالاستيلاء عليها، ووضعها في أحد متاحف التاريخ الطبيعي بباريس.

وكان هذا الدين الخرافي المبني على عبادة التصاوير والمقاصير والأضرحة وغيرها من الآثار المقدسة متفشيًا في كل مكان، ولذلك كانوا يحرقون من يقصر في احترام تمثال من تماثيل القديسين، ويجلدون الذي لا يبجلون الآثار المقدسة تبجيلاً لائقًا.

وبعد .. فهذه هي المسيحية الموجودة الآن في عقائدها، وتصوراتها، وأفعال أهلها، لا نكاد نلمح في تضاعيفها آثارًا تربطها بأصلها الأول، بل هي ديانة جديدة من وضع قسطنطين اتخذت من المسيح محورًا تدور حوله جميع عناصرها الوثنية.

الغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد

الغلو في المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم، بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديمًا وحديثًا، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق الأرض والسموات، وتتعلق قلوبهم به سبحانه في جلب النفع، ودفع الضر وجدنا من يذبح، وينذر، ويستغيث، ويدعو، ويلتمس المدد والبركة: من الأولياء، والصالحين، والرهبان، والقديسين، وقد أخرجوا هذا الشرك، وأظهروه: في قالب المحبة، والتعظيم، هكذا صور لهم الشيطان، وهكذا زعموا.

وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ

﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح:٢٣)، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.

قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم، وقد حذر سبحانه من الغلو فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (المائدة:٧٧)، والغلو كثير في النصارى، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام، فجعلوه إلهًا، وناقضهم اليهود، فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي.

قال ابن تيمية: «ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه، أو تفريط، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم، كالخوارج المارقين عن الإسلام» اهـ.

فالغلو مذموم في الاعتقادات والأعمال، وفي الحديث: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)].

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا، والمتنطعون: هم الغالون، وقد كان بناء المساجد والكنائس على القبور ذريعة للشركيات والكفريات، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لله توجهوا بها للمقبورين، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه: من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده، دون عبادتهم، وعبادة قبورهم.

وقد عاب رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا

---

(١) رواه أحمد والترمذي وهذا لفظ ابن ماجه.

شركهم بقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر:٣)، وبقولهم: ﴿ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ (يونس:١٨)، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (الزمر:٤٤). فلا يخلق هو ويُعبد غيره، ولا يرزق هو ويُشكر سواه.

وفي الحديث: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1]، يحذر ما صنعوا.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: «قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»، فاحذر الشرك على نفسك، واعمل بالحنيفية السمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد، والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

---

(١) متفق عليه.

قاعدة في المعجزات والكرامات[١]

الافتتان بالأمور الخارقة كثير عند النصارى، والاستدلال بها على صلاح من حدثت له من جهة وصرف العبادة له من دون الله، والغلو فيه من جهة أخرى من جملة الضلال الذي وقعوا فيه، فلابد للولي، والتقي الصالح من أن يكون مقتديًا في أقواله، وأفعاله بشرع الله.

وهذا هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء يخالف هذا الضابط فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي لله، أو قديس، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة،

(١) راجع كتابنا «الشهرة وعالم الأضواء».

فهو في الحقيقة مخاريق شيطانية، وتلبيسات إبليسية.

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

ولذلك قال الليث بن سعد: إذا رأيت الرجل يمشي على الماء، فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السُّنَّة، فلما سمع ذلك الشافعي قال: «قصَّر والله الليث، بل لو رأيته يطير في الهواء، فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة»، فهذا هو الميزان الذي نفرق به بين الكرامة الرحمانية، والخارقة الشيطانية.

فالكرامة ضابطها الاستقامة، وهذه الاستقامة تستلزم العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان بالله، ونبذ الكفر، والفسوق، والعصيان، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرفها الأئمة المتقدمون كالإمام

أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة. اهـ.

والخارقة لا تدل على أن من حدثت له أفضل من لم تحدث له، كما لا يدل فقدها على نقص دين الإنسان ومرتبته عند الله، وعلى العكس والنقيض، فحدوثها لا يدل على صدق من ظهرت على يديه، ولا ولايته، ولا فضله على غيره لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا، ومكرًا، وعلى أي حال، فلا يجوز صرف العبادة لغير الله، سواء كان نبيًا، أو وليًا، وقلوب الخلق يجب أن تتعلق بالله وحده في جلب النفع، ودفع الضر، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون؛ فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم»[1]، وحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»[2].

---

(١) في الصحيحين.

(٢) أخرجه الترمذي وحسّنه.

ثم عمر رضي الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعًا إليهما، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول: «أقول فيها، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء».

وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة»، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمر على نفسه الشريعة: قولاً، وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر على نفسه الهوى: قولاً، وفعلاً، نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

بعض خوارق العادات للأنبياء وغيرهم

من أمثلة ذلك عصا موسى، وفلق البحر، والقُمَّل، والضفادع، والدم، وناقة صالح، وإبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، وإخبارهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم، وقد حدث من ذلك الكثير لرسول الله ﷺ، وسنفرده بالبحث بإذن الله.

ومن أمثلة ما حدث لغير الأنبياء: قول عمر رضي الله عنه في قصة سارية، وهو على المنبر، ورؤيته لجيش سارية مع بُعد المسافة، فقال: «يا سارية، الجبل»، تحذيرًا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل، فسمع ساريةُ قوله مع بُعد المسافة، لأن عمر بالمدينة، والجيش بنهاوند.

وكإخبار أبي بكر أن في بطن امرأته أنثى، وإخبار

عمر عمن يخرج من ولده، فيكون عادلاً، ومن ذلك قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ الذي سار معه الأسد حتى دله على الطريق، ولم يلحقه بأذى، وأبي مسلم الخولاني الذي أنجاه الله من النار، وفعل به ما فعله بنبيه إبراهيم عليه السلام، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس.

التقدم المادي

ليس عنوانًا للتقى والهدى دائمًا [1]

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، أما الآخرة فلا يعيطها إلا لمن أحب، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

وقد امتلك الدنيا مؤمنان، وكافران، أما المؤمنان: فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران: فالنمرود، وبختنصر، ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمي قرين الهداية والصلاح، فعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم المادية على قدر الانحطاط في العلوم الإنسانية، والدينية، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

(١) راجع كتابنا «الديمقراطية في الميزان».

عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها، بل هي أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الإيمان في نفوس العباد، وفتح العيون على قدرة الله في خلقه:

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل في الشرود عن منهج الله، والسعي وراء الأفكار الضالة ـ مخطئون.

والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة، وينكرون، ويكابرون في وجود الجاهلية الموروثة، والتي تسري في دماء البشر، فتجعل القصد لغير الله مخطئون. ومن يعرف الدين الصحيح، ويعرف الأوضاع لا يماري في أن الباطل والكفر صورة تتكرر، فالوثنية الأولى ما زالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزنوج، والإسكمو،

والملايين في أمريكا وبريطانيا ما زالوا يجثون على الركب أمام تمثال العذراء، طالبين البركة، وآلهة الهند بالألوف، والشيوعيون يتخذون من قبر لينين: مطافًا ومزارًا، وبالتالي فالآلهة الأولى كالوهية فرعون، والنمرود، والأحبار، والرهبان ما هي إلا نماذج تتكرر، ولم تتلاشى، فهل أزال التقدم العلمي مثل هذا الضلال؟، ولذلك كان لابد من التركيز على قضايا التوحيد، والاهتمام بها وترسيخها في النفوس، كما لابد أيضًا من هدم الشرك، ودحض الباطل في كل مظاهره، وصوره، وأشكاله، فالشرك شيء واحد تتفق صوره في أنها قصد لغير الله: في التوجه، والطلب، والتشريع، والتعظيم، والتقديس، وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت، وبأي لباس تحلت، فذلك الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

إن الحضارة الحقة، والتقدم، والتطور النافع، هو الذي يقوم على أساس منهج العبودية، بحيث لا يتخطى أهله شرع الله، ولا يشردون عن دين الله، وبهذا المنهج تحدث البصيرة، والعزة، والتمكين، والسيادة بالحق على الخلق، وبمقدار التخلف عن منهج الله يكون الضياع وسط الأمم، والانحدار إلى هوة الضلال، والعيش وسط النكبات، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، ولذلك لم نستغرب وصف كثير من علماء الغرب لحضارة اليوم بأنها حضارة القلق، وأن شأنهم كشأن أطفال يبنون قصورًا بالرمال، وهم يجهلون أعماق البحر.

علمناهم وتعلمنا منهم
فلِمَ الانحراف بالقضية

يقول المستشرق الهولندي (دوزي): إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوربا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس.

ويقول (ليدبول) في كتابه (العرب في أسبانيا): فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم، ورايـة الثقافة في العالم.

ويقول (لوبون) في كتابه (حضارة العرب): إن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجًا يسكنها (سِنَّوْرات) متوحشون، يفخرون أنهم لا يقرءون.

ويقول (فيكتور روبنصن) في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس، وبين الحالة في أوربا: «كانت أوربا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة، كانت أوربا قذرة بينما شيِّدت (قرطبة) ألف حمام، كانت أوربا تغطيها الهوام، بينما كانت أهل قرطبة مثال النظافة، كانت أوربا غارقة في الوحل، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع، كانت سقوف القصور في أوربا مملوءة بثقوب المداخن، بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة، وكان أشراف أوربا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس، وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما كان معلموا قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة».

فعن طريق الأندلس، وصقلية، ومدارس الترجمة

التي انتشرت في شمال أسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وعن طريق التجار المسلمين، والحروب الصليبية انتقلت الحضارة الإسلامية إلى الغرب تنتشل الأوربيين من الجهل إلى العلم، وهذا واقع وهو حق.

ومن الإنصاف أيضًا أن نثبت الفضل لأهله، فالكل يلمس هذا التطور المادي في نواحي كثيرة من الحياة، وانقسمت الدنيا على أساس ذلك إلى: عالم متقدم، وآخر متخلف، يُطلق عليه اسم العالم الثالث أو تجاوزًا (العالم النامي)، الأمر الذي أدى بنا أن نتعلم منهم الكثير: من فنون الزراعة، والصناعة، والهندسة، والطب، وهذا الأمر لا حرج فيه، فهذه العلوم تؤخذ من كل من أفلح فيها، ولكن الحرج كل الحرج في الانبهار والفتنة بالغرب، وتصحيح ما هم عليه من دين باطل، فهم يعانون من إفلاس فيما يتعلق بالهداية، وعلوم الدين، وبالتالي فلا تجوز الانهزامية في

مواجـهتهـم، إذ الواجب علينا أن نعتـز بمعاني الإيمان، ونظهر شعـائر الدين، ونأخذ بأسباب الـقوة، وندعوهم لإسلام الوجه لخـالق السموات والأرض، حتى ينتـفعوا بما هم عليـه من الحياة، وبعـد الممات، ولا يتـصور أن يكون شيء من أمور الكفـرة كاملاً قط حتى مـا يتعلق بإتقان أمور الدنيا.

ولذلك يقول ابن تيمـية في كتابه (اقتـضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم): «أن نفس ما هم عليه من الـهدى والخلق قد يكون مـضرًا، أو منقـصًا، فينـهى عنه ويؤمر بضـده لما فيه مـن المنفعة والـكمال، وليس شيء من أمـورهم إلا فـيـه الـزيادة، أو النقص فمخالفتهم فيه. بأن يشرع ما يجعله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمـورهم كاملاً قط، فإذا المخالفـة لهم فيـها منفـعة وصلاح لنا فـي كل أمورنا، حتى ما هم عليه من إتقان أمـور دنياهم قد يكون مضرًا

بآخرتنا، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا، فالمخالفة فيه صلاح لنا...

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره، لابد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها، ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة، ولكن كل أموره: إما فاسدة، وإما ناقصة، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم، وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى» اهـ.

إن القضية أكبر من الانشغال بإثبات تعليمنا لهم، أو تعلمنا منهم، إن الاهتمام الأعظم، والانشغال الأكبر ينبغي أن ينصب في دلالتهم على طريق الحق، والعودة بهم إلى توحيد الله جلَّ وعلا.